



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

أولاً: ذكر القراء الكرام ونفسي بأيتين من كتاب الله داللتين على اثنتين من سنن الله:

الأولى: قوله تعالى في أعقاب غزوة أحد: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) [آل عمران:140].

وهي دالة على سنة المداولة كما في بدر ثم أحد، ثم تكون العاقبة لأتيا الرسل.

الثانية: قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [البقرة:251] في التعقيب على قصة طالوت وجالوت.

ومثله قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج:40]. وهذا بعد قوله تعالى: (أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِيمُوا) [الحج:39]. إلى قوله: (وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ) [الحج:41].

فهذه سنة المداولة.

والدفع/ كما قال العلماء يكون بأمور كثيرة، على رأسها: الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: المحتسبون يدورون بين السنطين:

الأولى: مدافعة الباطل والمنكرات: حتى لا تفسد الأرض بالمنكرات والعقوبات الإلهية التي فيها الخوف والجوع والنقص وألوان العذاب في الدنيا، ثم العذاب الشديد يوم القيمة.

الثانية: استحضار سنة المداولة، فمرة يقوى الاحتساب وأهله، ثم تأتي مرة أخرى ويقوى الباطل وأهله...

وقوة الباطل أو إدالته في بعض الأحيان كما في غزوة أحد فيه دروس:

1- تمحيص المؤمنين في الابتلاء والامتحان لمغفرة ذنبهم ورفع درجاتهم.

2- كشف أهل النفاق الذين يظهر نفاقهم المخفي إذا صار للباطل صولة وقوة.

3- محق الباطل بغرورهم وانكشافهم وزيادة آثامهم؛ بسبب إجرامهم.

4- صفاء الحق وظهور رايته من خلال المحن.

ثالثاً: الخلاصة والدروس:

(1) **أن الصراع بين الحق والباطل وما يتبعه من المداولة والمدافعة باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وعلى هذا:**

1- تبطل النظرية الشيوعية التي تدعى أن الناس يعيشون في ظلها في سلام ووئام، وأنه بالتسوية بين الناس تزول الاختلافات والصراع بين الناس.

2- وتبطل النظرية الليبرالية التي تزعم أنه في ظل الحرية والديمقراطية تزول الفروقات ويرفع الصراع.

3- وتبطل كل نظرية صوفية أو مثالية كما تدعى يمكن أن يسود معها عدم اختلاف وصراع...

(2) نظرية صدام الحضارات لها شقان:

1- شق باطل، وهو أصل هذه النظرية، وهو الزعم بأن الصدام بين الإسلام والحضارة الغربية؛ لأن الإسلام ضد الحضارة والتقدم؛ لأنه رجعي ومتخلف، وهذا من أعظم الباطل.

2- شق صحيح، وهو أن الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية حق، وهو باق؛ لأنه صراع بين الكفر والإيمان والحق والباطل والشرك والتوحيد، والأخلاق الفاضلة والإباحية...إلخ.

(3) سنة المدافعة والمداولة سنة دائمة وباقية، ومن ملامحها:

1- الصراع بين القوى الكبرى الاتحاد السوفيتي - أمريكا والغرب لا يبقى، وقد ظهرت بوادره منذ سنوات حين انهار الاتحاد السوفيتي.

2- لا تبقى قوة هي الأقوى والمحكمة، سنة الله أن الله يهبي من يدافعها، وعلى هذا فقاً أمريكا ومن معها لن تبقى، بل لا بد من دورة الصراع والمدافعة والمداولة.

(4) المسلمين لهم النصيب الأكبر من هذا التداول والمدافعة:

1- لأن دينهم هو الدين الحق على وجه الأرض، ولا حق غيره من الأديان والملل والمذاهب والفلسفات.

2- وهذا الإسلام باق لن يقضى عليه، كما جاءت الأدلة في بقاء الطائفة المنصورة، وبقاء الإسلام إلى أشرطة الساعة الكبرى.

3- الإسلام فيه من الأصول العلمية والعملية والمقومات ما يجعله منازلاً قوياً لأي قوة مهما بلغت.

(5) لا بد للمسلمين في ظل هذا الصراع والتدافع من:

1- **الأخذ بأسباب النصر الشرعية من:** الإيمان، والتوبه، والتوحيد، والعبادة، والطاعة، والاستقامة، والبعد عن المعاصي والمحرمات. والصدق مع الله في كل ذلك، والبعد عن النفاق والرياء، ومن ذلك: إحياء الجهاد والاحتساب.

2- **الأخذ بالأسباب المادية، وعلى رأسها:**

أـ اجتماع كلمة المسلمين من أهل السنة ووحدة صفوفهم.

بـ الاستعداد بالقوة المادية العسكرية.. وغيرها... ولا بد من الاستقلال فيها، وعدم الاعتماد على القوى الأخرى في هذا الجانب.

تـ وعي الأمة بخطر الركون إلى الأعداء، وتعليمهم أسباب النصر وأسباب الهزيمة.

ثـ الإعداد الحقيقي للجهاد في سبيل الله بقواعد وضوابطه.

جـ الحذر من الغلو ومن الجفاء، فهما داءان عضالان.

حـ الصبر والمصايرة، والآيات في ذلك كثيرة.

رابطة علماء المسلمين

المصادر: